

آلية بناء الشخصية الإيجابية للطفل

د. ناهد نصر الدين عزت

أستاذ علم الجمال

كلية الآداب - جامعة القاهرة

مما لاشك فيه أن تنمية المجتمع وتطويره يركز في المقام الأول على مدى القدرة على تربية الطفل تربية سلمية؛ ولذا علينا البدء بالطفل كنواة لبناء هذا المجتمع علمياً وثقافياً وإبداعياً مما يضيف قيم إيجابية من خلال إيجاد أساليب جديدة في التعامل مع المجتمع وحل مشكلاته المختلفة، وتوظيف كل ذلك لبناء المجتمع وتطويره وتنميته ذلك لأن التربية ليست مجرد كلمة تقال بالمصطلح القاموسى، ولكنها أسلوب حياة، وعلينا الاهتمام بإعادة النظر في التنشئة الاجتماعية للطفل من خلال الاهتمام بتنمية وجدان الطفل مثلما نهتم بتنميته الجسمانية والعقلية حتى نصل إلى الأسلوب الأمثل لتنشئة الطفل مسلحاً بالثقافة والإبداع والقيم الجمالية والأخلاقية مما يخلق جيلاً جديداً من المتميزين والمبدعين والمبتكرين القادرين على تحقيق تنمية شاملة للمجتمع، وذلك من خلال زرع قناعات إيجابية لديهم يساعدهم على تأسيس الشخصية المتوازنة المتميزة بالقيم الإبداعية الأمر الذى يجعل منهم جيل أكثر وعياً وانفتاحاً على العالم مع التمسك بالهوية والأصالة النابعة من المعرفة الجيدة بالتراث.

وهذا يتطلب توافر الجوانب التالية عند تربية الطفل :

أولاً : الاهتمام بالجانب العقلى والمعرفى

وذلك بالاستفادة من جميع القدرات والمهارات العقلية وتوظيفها بما يساعد على تنمية الجانب الابتكارى والمهارى لديه حيث أن القدرات العقلية المختلفة لا يستفاد منها سوى ثلاث مهارات وهى مهارة الحفظ، والاسترجاع، والتلقين دون الاهتمام بالقدرة على الفهم والمقارنة والتحليل والتخيل والربط والدمج، وغير ذلك من المهارات العقلية، وذلك لأن للمعرفة أنواع متعددة منها المعرفة المباشرة، والمعرفة التبادلية، والمعرفة التكميلية، والتاريخية فضلاً عن ذلك التفكير الإبداعى، ولكننا نركز فقط على المعرفة المباشرة المعتمدة على التلقين.

ثانياً : تأسيس الجانب الروحى والقيمى لدى الطفل

وهذا الجانب يتطلب وجود القدوة لدى الطفل حتى يمكنه إدراك تلك القيم المختلفة سواء كانت قيم جمالية أو أخلاقية أو روحانية، أو يطبق ذلك فى سلوكياته المختلفة فليست القيم الجمالية والأخلاقية تنحصر فى الأوامر والنواهى وافعل ولا تفعل ولكنها تحتاج إلى وجود القدوة والمثل الأعلى ذلك لان القيم الجمالية والأخلاقية تحتاج إلى تشكيل الوعى لزراع السلوك الراقى داخل أفراد المجتمع، ومعايير هذا السلوك يتجسد فى مفاهيم مختلفة مثل الضمير، الشرف، حب الوطن، الإيجابية - الانتماء - التواصل مع الآخرين - التعاون - الحب، وغير ذلك مما يساعد الطفل على أن ينشأ على مبادئ وقيم تساعده على تجاوز النقاط الخلفية التى قد تتسبب فى انعدام التواصل الفكرى مع الآخرين، وأن يتسم سلوكه بالإيجابية والاهتمام بالعلاقات الإنسانية بكافة أطرافها.

ثالثاً : الاهتمام بتنمية الجانب الإنساني والثقافي لدى الطفل

وهذا الجانب يرتبط بالناحية الوجدانية لدى الطفل لأن الثقافة ترتبط بالكثير من العناصر الحياتية المختلفة مثل تصميم الملابس والأثاث والتصميم الداخلي للبيت، وهذا يجعل لدى الطفل ميلاً استقصائياً لمعرفة تراثه وهويته ومحاولة معرفة الجذور التي ينتمي إليها، وهذا يؤدي بعد ذلك إلى رقى الطفل ونجاحه في الحياة وليس معنى هذا أن زرع الثقافة في وجدان الطفل عمل سهل، بل على العكس لأن الأبوين يؤسسان داخل الطفل معطيات يسير عليها طوال حياته بشرط عدم إغراق الطفل في التفاصيل، ولكن الاهتمام بالتطبيق والرؤية البصرية والحسية لدى الطفل، وزرع الاهتمام بالمجالات المختلفة المرتبطة بالثقافة مثل زيارة المتاحف لأنها تجمع العديد من المعلومات التي تتضمن عرض لثقافة ما مما يحدث تغييرات تدريجية داخل نفس الطفل مما يجعله يرتبط وجدانياً بثقافة البيئة التي يعيش فيها.

كذلك يمكن للطفل في المراحل العمرية الأكبر أن يدرك الفروق الثقافية بين مجتمع وآخر وأن يعرف أهم ما يتميز به مجتمع وأن يكون لديه القدرة على تمييز الاختلاف عن المجتمعات الأخرى على أساس خبرته الخاصة واكتشاف ما يتميز به كل مجتمع من علاقات مختلفة مما يزرع في داخله المرونة وقيم التسامح والنظرة الكلية للوطن وأنه مجتمع متكامل يجمع بين الريف والحضر والبدو ولكنهم في النهاية ينتمون إلى مصر.

رابعاً : زرع الطموح والإيجابية والمبادرة في شخصية الطفل

لابد من الاهتمام بأن يكون لدى الطفل حلم يسعى إلى تحقيقه، وهذا يخلق لديه الطموح والإيجابية والمبادرة إلى العمل والاجتهاد بشرط أن يكون هذا الحلم مرحلياً وليس حلمًا مستحيلًا غير قابل للتحقيق، بحيث يحس الطفل بالإنجاز فيما يقوم به، ولا يشعر باليأس وعدم النجاح في تحقيق هدفه، والوصول إلى ما يحلم به، كذلك لابد من الابتعاد عن زرع الصورة الذهنية السلبية داخل الطفل عن ذاته، فلا يصح أن تردد الأم أو الأب أنه فاشل، أو أنه لن يصل إلى النجاح، أو التفوق وذلك بمقارنته بالآخرين لأن الصورة السلبية تفقد الإنسان القدرة على الطموح والسعي المستمر، وذلك بأن نجعل لدى الطفل رؤية مستقبلية ذاتية تتسم بالإيجابية والتميز مما يمنح الطفل الثقة بالنفس والقدرة على القيادة والفاعلية الأمر الذي يؤدي إلى وجود جيل قادر على التكيف مع معطيات العصر الحديث والمشاركة والفاعلية.

خامساً : الارتباط الوجداني بالأبداع

تنمية الملكة الإبداعية شيء أساسي لابد من التركيز عليه عند تربية الطفل ذلك لأن الملكة الإبداعية توجد بالقوة داخل كل إنسان، ولكنها تحتاج إلى بيئة مواتية تساعد على ظهور تلك الملكة، وبالتالي رعايتها وتنميتها، وذلك بتوفير البيئة المناسبة التي تتسم بالحرية الفكرية والإبداعية وممارسة الأنشطة المختلفة المرتبطة بالإبداع مما يساعد على تهذيب الوجدان وسمو المشاعر، وهذا يتطلب وضع خطة للاستفادة الحقيقية من وقت الفراغ من خلال الاشتراك في تدريبات مختلفة تساعد الطفل على تنميته وجدانياً ونفسياً مع تشجيع المتميزين والمبدعين ومراعاة الاختلاف في القدرات والظروف البيئية المجتمعية.

سادساً : تأسيس الوعي الجمالى والبيئى

لابد أن ينصب اهتمام الأبوين بصفة خاصة بأن يتواجد الجمال فى حياة الطفل منذ مولده حتى يكتشف الطفل ما يوجد فى حياته من ظواهر عديدة تشير إلى الجمال بصورة أو بأخرى حتى يمكنه بعد ذلك أن يوظف الجمال فى حياته، وأن يدرك أنواع الجمال فمنها ما هو مادي نراه فى الشكل الجميل، والمظهر الجميل، والبيت الجميل فيرتدى الزي المناسب لشخصيته، وغير ذلك من الأمور التى تتعلق بالمظهر.

وكذلك يعرف الطفل أن هناك جمالاً غير منظور(غير مرئى)، وهو الجمال الذى ينتمى إلى الجوهر فيكون الإنسان جميلاً من الداخل فيشع بالجمال والذى نسميه جمال القلب، وجمال الروح الذى ينعكس على الشكل الخارجى للإنسان فيصبح أكثر جمالاً، وهذا ما يسمى بالروح الجميلة أو الشخصية الجذابة، كما يجب أن يعرف الطفل أن هناك جمال العقل وهو فى التفكير الصحيح، كذلك يوجد جمال سلوكى وهذا السلوك الجميل يرتبط بالأخلاق الراقية مما يجعل الطفل يدرك أن عليه الاهتمام بزرع الجمال فى حياته، وأن يتسم سلوكه بالجمال فلا يقول لفظاً سيئاً، أو إلقاء القمامة فى مكان ما وهذه السلوكيات التى تنعكس على البيئة جمالاً ورقياً والبعد عن القبح، وهذا هو ما يسمى بالوعي البيئى وهو المحافظة على البيئة المحيطة بنا، وعدم تلويثها أو تشويهها، وعدم نشر القبح فى المجتمع فى كافة صورته، والبعد عن العشوائية والفوضى، فيتعلم الطفل أن يحافظ على المكان الذى يتواجد فيه، وبالتالي يصبح النظام والنظافة عادة لديه يشب عليها وينقلها إلى الآخرين، وبالتالي يسود المجتمع المسحة الجمالية والارتقاء السلوكى بين الفئات المختلفة.